المحكم والمتشابه في القرآن

نصوص القرآن جميعها قطعية من جهة ورودها وثبوتها ونقلها عن الرسول صلى الله عليه وسلم إلينا، أي نجزم ونقطع بأن كل نص نتلوه من نصوص القرآن، هو نفسه نص الذي أنزل الله على رسوله. وأما نصوص القرآن من جهة دلالتها ففي القرآن آيات المحكم وآيات المتشابه، والله تعالى يقول: ﴿ **هُوَ الَّذِيٓ اَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتٰبَ مِنْهُ اٰيٰتٌ مُّحْكَمٰتٌ هُنَّ اُمُّ الْكِتٰبِ وَاُخَرُ مُتَشٰبِهٰتٌ** ﴾ [آل عمران: ٧].

تعريف المحكم :

المحكم لغة المتقن، يقال: " أحكمت الشيء أحكمه إحكاماً ": إذا أتقنته، فكان في غاية ما يبتغي من الحكمة.[1] ورد وصف القرآن كله بأنه محكم فقال تعالى: ﴿ **الٓرٰ كِتٰبٌ اُحْكِمَتْ اٰيٰتُهٗ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَّدُنْ حَكِيْمٍ خَبِيْرٍ ۙ١** ﴾ [هود: ١]، بمعنى: أنه متقن غاية الإتقان في أحكامه وألفاظه ومعانيه، فهو غاية في الفصاحة والإعجاز.[2]

والمراد بالمحكم هنا هو ما ظهر معناه وانكشف كشفا يرفع الاحتمال، وهو موجود في كلام الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ اللّٰهُ اَحَدٌ ۚ١** ﴾ [الإخلاص: ١]، فهذه الآية لا تحتمل إلا معنى واحدا، يعني أن الله أحد، وقوله تعالى: ﴿ **مَنْ جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهٗ خَيْرٌ مِّنْهَا ۚ وَمَنْ جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِيْنَ عَمِلُوا السَّيِّاٰتِ اِلَّا مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ ٨٤** ﴾ [القصص: ٨٤]، دلت هذه الآيات دلالة قطعية على أن الجزاء منوط بالعمل، وقوله تعالى: ﴿ **اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ وَالْمُشْرِكِيْنَ فِيْ نَارِ جَهَنَّمَ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا ۭ اُولٰۗىِٕكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۭ٦** ﴾ [البينة: ٦]، يدل دلالة صريحة على أن أهل الكتاب والمشركين من الكافرين وهم خالدون في نار جهنم، وقوله تعالى: ﴿ **وَاَحَلَّ اللّٰهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبٰوا ۭ** ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فهذا قطعي الدلالة على أن البيع مباح وأن الربا حرام.

وقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِيْنَ يَكْنِزُوْنَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُوْنَهَا فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ ۙ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ اَلِيْمٍ ۙ٣٤** ﴾ [التوبة: ٣٤]، الوعيد بالعذاب الأليم لمن يكنزون الذهب والفضة دليل ظاهر على أن كنز الذهب والفضة حرام قطعا، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ اَزْوَاجُكُمْ اِنْ لَّمْ يَكُنْ لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ** ﴾ [النساء: ١٢]، هذا قطعي الدلالة على أن فرض الزوج في هذه الحالة النصف لا غير، وقوله تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾ [النور: ٢]، دلالة هذه الآية قطعية على حد الزنا مائة جلدة لا أكثر ولا أقل، وقوله

---

[1] المهذب في علم أصول الفقه المقارن (2/ 506)

[2] معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (ص: 105)

تعالى:﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوْٓا اَيْدِيَهُمَا** ﴾ [المائدة: ٣٨]، فإن هذه الآية قطعية الدلالة، وهي تدل على قطع يد السارق ولا تحتمل معنى آخر غيره، إلى غير ذلك من الآيات التي لا تحتمل أكثر من معنى واحد.

.

تعريف المتشابه:

والمتشابه لغة مأخوذ من التشابه، وهو أن يشبه أحد الشيئين الآخر، والشبهة: هي ألا يتميز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه عينًا كان أو معنى.[3] وورد وصف القرآن كله بأنه متشابه، فقال تعالى: ﴿ **اَللّٰهُ نَزَّلَ اَحْسَنَ الْحَدِيْثِ كِتٰبًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ** ﴾ [الزمر: ٢٣] ، بمعنى: أن آياته يشبه بعضها بعضًا في الإعجاز والصدق والعدل.[4]

والمراد بالمتشابه هنا هو ما يحتمل أكثر من معنى، وهذا أيضا موجود في كلام الله تعالى. والمتشابه إما بجهة التساوي، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَالْمُطَلَّقٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِاَنْفُسِهِنَّ ثَلٰثَةَ قُرُوْٓءٍ** ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فلفظ القرء في اللغة مشترك بين المعنيين يطلق على الطهر ويطلق على الحيض، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **اَوْ لٰمَسْتُمُ النِّسَآءَ** ﴾ [المائدة: ٦]، فالمقصود إما اللمس أو الجماع، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **اِلَّآ اَنْ يَّعْفُوْنَ اَوْ يَعْفُوَا الَّذِيْ بِيَدِهٖ عُقْدَةُ النِّكَاحِ** ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، فإن الذي بيده عقدة النكاح يحتمل أن المراد به الزوج أو الولي.

وإما بغير جهة التساوي، كقوله تعالى: ﴿ **وَّيَبْقٰى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلٰلِ وَالْاِكْرَامِ ۚ ٢٧** ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿ **اَلرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوٰى ٥** ﴾ [طه: 5]، وقوله تعالى: ﴿ **وَّجَآءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۚ ٢٢** ﴾ [الفجر: 22]، وقوله تعالى: ﴿ **اَوَلَمْ يَرَوْا اَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِّمَّا عَمِلَتْ اَيْدِيْنَآ اَنْعَامًا** ﴾ [يس: ٧١]، وقوله تعالى: ﴿ **وَالسَّمٰوٰتُ مَطْوِيّٰتٌۢ بِيَمِيْنِهٖ** ﴾ [الزمر: ٦٧] ، وقوله تعالى: ﴿ **وَنَفَخْتُ فِيْهِ مِنْ رُّوْحِيْ** ﴾ [الحجر: ٢٩] ونحوه، فإنه يحتمل عدة معان حسب فهم اللغة العربية من حيث أساليب العرب وحسب المعاني الشرعية، فهذا كلها متشابه.

وإنما سمي متشابها لاشتباه معناه على السامع، وليس المتشابه هو الذي لا يفهم معناه، لأنه لا يوجد في القرآن شيء لا يفهم معناه، لأن اشتمال القرآن على شيء غير مفهوم يخرجه عن كونه مبينا وبيانا للنّاس وكون آياته بينات، وهو خلاف قوله تعالى: ﴿ **قَدْ جَآءَكُمْ مِّنَ اللّٰهِ نُوْرٌ وَّكِتٰبٌ مُّبِيْنٌ ۙ ١٥** ﴾ [المائدة: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿ **يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَاَنْزَلْنَآ اِلَيْكُمْ نُوْرًا مُّبِيْنًا ١٧٤** ﴾ [النساء: 174], وقوله تعالى: ﴿ **هٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَّمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِيْنَ ١٣٨** ﴾

---

[3] مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: 220)

[4] معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (ص: 105)

[آل عمران: ١٣٨]، وقوله تعالى: ﴿ **بَلْ هُوَ اٰيٰتٌۢ بَيِّنٰتٌ فِيْ صُدُوْرِ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْعِلْمَ ۗ وَمَا يَجْحَدُ بِاٰيٰتِنَآ اِلَّا الظّٰلِمُوْنَ ٤٩** ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

وحيث إن المتشابه هو ما اشتبه معناه على السامع، فإنه يحتاج بذل جهد لفهمه، وليس من السهل على معظم الناس أن يفهموه بل يعلمه الراسخون في العلم وعن طريقهم يتم تعليمه للآخرين: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيْلَهٗٓ اِلَّا اللّٰهُ ۘ وَالرّٰسِخُوْنَ فِى الْعِلْمِ يَقُوْلُوْنَ اٰمَنَّا بِهٖ ۙ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۚ** ﴾ [آل عمران: ٧]، فالواو هنا للعطف، أي أن الله والراسخين في العلم يعلمون تأويله، وليست الواو للاستئناف بمعنى أن تأويله لا يعلمه أحد سوى الله تعالى لأن هذا يجعل القرآن خارجا عن كونه بيانا للناس.